وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche scientifique

ⴰⵢⵏⵜⴰⵙⵓⵏⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⴰⵙⵙⵓⵔⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵙⵉⵡⵜ ⵜⵣⵣⵉⵔⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⴰⵙⵙⵓⵔⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵙⵉⵡⵜ ⵜⵣⵣⵉⵔⵜ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵙⵙⵏⵙⵉⵡⵜ ⵜⵣⵣⵉⵔⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵙⵉⵡⵜ ⵜⵣⵣⵉⵔⵜ

جا مـــعـــة مـــولود معمـــري – تيزي وزو

كليـة الآداب واللغات

قسم اللغـــــة الآداب العربيـــــة وآدابها

Université MOULOUD Mammeri – TIZI OUZOU

Faculté des Lettres et Langue

Département de langue et littérature arabe

شهادة مشاركـــة:

منحت هذه الشهادة للأستاذ(ة): فضيلة بن القمر، جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 02-

تقديـــرا لمشاركتها في الملتقى الوطني الموسوم بـ : " المرأة المجاهدة في الكتابة النسائية الاستعمارية "

المنعقد بتاريخ : 29-30 سبتمبر 2019، برحاب المسمع الجامعي بجامعة مولود معمري ، حسناوة / تيزي وزو

بمداخلة عنوانها :" نضال المرأة في الكتابة القصصية النسائية الجزائرية الظلال الممتدة لزهور ونيسي –أنموذجا-"

مع الشكـــر والتقديـــر والعرفـــان

رئيســـــة الملتقى الوطني:

د: نبيلـة زويـش

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها:

أ: شمس الدين شرقي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري – الحسناوة – تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

ينظم:

الملتقى الوطني حول:

المرأة المجاهدة في الكتابة النسائية الاستعمارية

بجامعة مولود معمري – الحسناوة – تيزي وزو

يومي : 29– 30 سبتمبر 2019

هيئة الملتقى الوطني

الرئيس الشرفي للملتقى:

أ.د. تيسة

رئيسة الملتقى:

د. نبيلة زويش

رئيسة اللجنة العلمية :

أ.د، نورة بعيو

أشغال الورشات

اليوم الأول: 29سبتمبر 2019

الجلسة العلمية الأولى: (10:00):

رئيس الجلسة:

أ . عبد الحق قناوي

المداخلة الأولى:

(أ . بوحاسي طاوس/ جامعة مولود معمري – تيزي وزو)

" صورة المرأة المجاهدة بين المناضلة والفدائية- الرصيف النائم لزهور ونيسي-أنموذجا-

المداخلة الثانية:

(أ .خديجة الأخضري / جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 02)

" صورة المرأة المناضلة في الكتابات النسائية للأطفال"

المداخلة الثالثة:

(أ . سي يوسف جهيدة /جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة–)

" اشتغال الذاكرة في الخطاب ما بعد الكولونيالي – دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الثالثة "

المداخلة الرابعة:

(أ . صياطي حميدة/ جامعة أكلي محند اولحاج –البويرة–)

" الأدب والمرأة في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق "

المداخلة الخامسة:

(أ . نبيلة شرارة / جامعة مولود معمري – تيزي وزو)

" الكتابة النسائية وموضوع المرأة الثائرة "

المداخلة السادسة:

(أ . مليكة حيمر/ جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة1)

" تمثلات صورة المرأة المناضلة في الرواية النسوية الجزائرية – رواية من يوميات كمدرسة حرة لزهور ونيسي – أنموذجا- "

المداخلة السابعة:

(أ . دلال جلباي/ جامعة08 ماي 1945 قالمة)

" تمثلات صور المرأة في الكتابة النسائية "

مناقشة عامة

الجلسة العلمية الثانية: (11.30):

رئيس الجلسة:

أ.خليفاتي حياة :

المداخلة الأولى:

(أ.ليلى بوعصامة / جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 02)

" صورة المرأة المناضلة في الرواية النسوية الجزائرية

"لوحة والعول زهور ونيسي" أنموذجا

المداخلة الثانية:

(أ . فضيلة بن القمر/ جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 02)

"نضال المرأة في الكتابة القصصية النسائية الجزائرية"

الظلال الممتدة لزهور ونيسي –أنموذجا-"

المداخلة الثالثة:

(أ . حمزة بريك/ جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف)

حضور الشعر الفصيح لدى المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية

جميلة بوحيرد – أنموذجا-

المداخلة الرابعة:

(أ .حورية بن علوش /8ماي 1945 قالمة)

" تجسيد القضايا النسوية من خلال الكتابة النسائية الاستعمارية الجزائرية "

المداخلة الخامسة:

(أ . العياشي نحلي/ جامعة ابن خلدون – تيارت)

" صورة المرأة المجاهدة في الكتابة النسائية الجزائرية "روايات زهور ونيسي"- أنموذجا-

المداخلة السادسة:

(أ . عبد الكريم صاهد / جامعة مولود معمري – تيزي وزو)

" خصوصية الكتابة النسائية وتعالقها مع المشهد الثوري الجزائري "

مناقشة عامة:

وجبة الغداء

الجلسة العلمية الثالثة: (14:00):

رئيس الجلسة:

أ . أمينة حماني:

المداخلة الأولى:

(أ . بلقاسم حمديني/ جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر 02)

"تعدد الحضور الوطيفي للمرأة الجزائرية المجاهدة إبان حقبة الاستعمار

–قراءة نقدية في نماذج روائية– "

المداخلة الثانية:

(أ . عبد الحق قناوي/ جامعة مولود معمري – تيزي وزو)

"بطولة المرأة المجاهدة بين وحدة الذات وتعدد الأدوار في رواية الظلال الممتدة لزهور ونيسي"

نضال المرأة في الكتابة القصصية النسائية الجزائرية "الظلال الممتدة"

لزهور ونيسي أنموذجا

أ. فضيلة بن القمر

جامعة الجزائر2

الملخص:

تعد المرأة الجزائرية الركيزة الخلفية في العمل الثوري، فقد شاركت الرجل في معترك الحياة ثورةً واصلاحا فكانت المجاهدة والشهيدة، قدمت للوطن الأب والأخ والزوج، وكانت الأم التي أنجبت رجال الثورة. ومن الأصوات النسائية الجزائرية اللاتي جسدن في أدبهن النضال الثوري للمرأة الكاتبة المجاهدة زهور ونيسي التي ترى أن أدوار المرأة ومهامها تكاملت وتنامت مع الأيام، أيام وسنوات ثورة التحرير، إذ التزمت في أعمالها الأدبية في مجال القصة والرواية بقضية كفاح المرأة وبطولاتها إبان ثورة التحرير.

تسعى هذه الدراسة المعنونة بـ:" **نضال المرأة في الكتابة القصصية النسائية الجزائرية "الظلال الممتدة" لزهور ونيسي أنموذجا**"، إلى رصد أشكال حضور المرأة الجزائرية المناضلة في الثورة من خلال تلمس هذه الأشكال داخل متن المجموعة القصصية أنموذج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسائية، القصة، المرأة، الثورة، المجاهدة.

تقديم:

كانت أوضاع المرأة الجزائرية متدهورة إلى أبعد حد، فعاشت ظروفا مزرية، وسدت أمامها كل السبل، لهذا كان حضورها قبل الاستقلال كان شبه منعدم خصوصا في الميدان الأدبي نتيجة لتعرضها للاستعمار الفرنسي وللاضطهاد المجتمعي، ما جعلها تعاني الجهل والتهميش وطمس لشخصيتها، إلا أن ظهور الحركات النسائية ساهم في التقليل من النظرة الضيقة لها في المجتمع الجزائري، ما ساهم في دخولها المجال الإبداعي والأدبي منه خاصة، وخاضت الكاتبة في مختلف الأشكال النثرية، عالجت فيها مواضيع الحرية والبطولات وكفاح المرأة والثورة؛ هذه الأخيرة شكلت

تيمة مهيمنة في متون من الكتابات النسائية خصوصا في الفن القصصي، مؤثثة لفضائها السردي ومرجعية الحكي وتشكلاته، ومن أبرز من أجدن في تصوير هذه المرحلة، ومزجن في قصصهن بين زمن الثورة وزمن القص الأديبة والمجاهدة زهور ونيسي التي تخطت الحواجز وساهمت في بناء الحركة الأدبية النسائية في الجزائر، إذ ارتبطت تجربة الكتابة عندها بنضال المرأة، ومن خلال مجموعتها القصصية "الظلال الممتدة" التي نتخذها موضوع الدراسة نحاول فيها الكشف عن صور نضال المرأة الجزائرية ممهدين لذلك بطرح الأسئلة التالية:

- كيف تجلى حضور المرأة الثورية في القصة القصيرة النسائية الجزائرية؟.
- كيف رسمت زهور ونيسي صورة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية؟ وهل هذه الصور حقيقية مستمدة من الواقع؟.

1-مفهوم القصة القصيرة:

ولدت القصة بمفهومها العام منذ القدم فقد ورد ذكرها في التراث الأدبي القديم، وقد تعددت مفاهيمها اللغوية في المعاجم، فنجدها في معجم لسان العرب (ق. ص. ص) وتعني: "الخبر وهو القصص. وقص عليا خبره يقصه قصا وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص. والقِصَصُ: جمع القصة التي تكتب. وتقصص كلامه: حفظه. وتقصص الخبر: تتبعه. واقتصصت الحديث: رويته على وجهه. والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها. وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها: تتبعها بالليل. وكذلك اقتص أثره وتقصص"[1]. فالقصة من الناحية اللغوية تدل على فعل الحكي.

أما من الناحية الاصطلاحية نجد مصطلح القصة متعدد هو الآخر؛ نظرا لتطوره المستمر إذ أصبح مصطلحا زئبقيا يصعب تحديد مفهوم ثابت له، وقد قدم جيرار جينيت ثلاث مفاهيم للقصة:

1- "القصة تعني الخطاب السردي(الشفوي أو الكتابي) الذي يروي حدثا أو مجموعة أحداث.

2- القصة تعني تتابع الأحداث الحقيقية أو الخيالية التي هي موضوع الخطاب، وكذا مختلف العلاقات المتسلسلة والمتضادة والمتكررة القائمة بين الأحداث.

3- القصة حدث يتطلب ساردا، ففعل السرد مأخوذ لذاته، والدراسة تنصب على الخطاب السردي."[2]

ويعرفها يوسف نجم بأنها" مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض"[3]، فالقصة هي تعبير عن "موقف، أو لحظة معينة من الزمن، في حياة الإنسان"[4].

أما ألان والتر يرى بأنها " أكثر الأنواع الأدبية فعالية في عصرنا الحديث بالنسبة للوعي الأخلاقي، فهي عن طريق فكرتها وفنياتها تتمكن من جذب القارئ إلى عالمها، فتبسط الحياة الإنسانية أمامه بعد أن أعادت صياغتها من جديد"[5].

فالقصة في مفهومها العام جنس أدبي نثري، يصور فيها كاتبها حادثا أو مجموعة حوادث بلغة أدبية مميزة يقصد من خلال هذه التشكيلة التأثير في القارئ.

إذا ما عدنا إلى تعريفات القصة القصيرة نجده يثير جدلا كبيرا بين النقاد والكتاب ويرجع هذا إلى "تشعب منابع الثقافة الأجنبية التي أخذ عنها الأدباء والنقاد العرب مصطلحاتهم"[6]، كما أن هذا الاختلاف موجود هو الآخر في النقد الغربي نتيجة ظهور اتجاهات متنوعة يحدد كل منها مفهوم القصة القصيرة بين من يفرقها عن الرواية، وبين من يجعلها تختلف كل الاختلاف عنها، وآخرون جعلوا عناصر مشتركة بينهما.

وقد عرفت القصة القصيرة بأنها "عمل قصصي لا تتجاوز بضع صفحات تتضمن عادة حدثا واحدا وشخصيات قليلة، ويمكن قراءة أغلبها في جلسة واحدة"[7]، وهذا التكثيف عبر عنه أدغار ألان بو حينما عد القصة عملا روائيا نثريا "يستدعي لقراءته المتأنية نصف ساعة أو ساعتين"[8]، فالقصة "نص مكثف إلى أقصى درجة لا حشو فيه ولا تأكيد ولا تكرار وربما يسمح بالتشبيه في أضيق الحدود الألفاظ مرهفة ومسنونة بلا تزيد وليس ثمة مجال لاستعراض ثروة الكاتب اللغوية"[9]، وهذا القصر هو ما يميز القصة القصيرة إذ يعد من الدعامات الأساسية التي تقوم عليها القصة

القصيرة؛ فهي كما يقول يوسف إدريس: " مثل الرصاصة تنطلق مباشرة نحو الهدف"[10]، فالعمل القصصي يجب أن يكون متماسكا خاليا من السرد غير اللازم.

هذا من ناحية الحجم –الكم– للقصة أما على مستوى الكيف فهو يتعلق بالبنية السردية للقصة؛ والتي تتجلى من خلال عدة عناصر، بداية بالزمكانية فكل "حادثة لا بد أن تقع في مكان معين، وزمان بذاته، وهي لذلك سترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما، والارتباط بكل ذلك ضروري لحيوية القصة، لأنه يمثل البطانة النفسية للقصة"[11].

ثم الشخصيات والتي من مهام القاص أن "يجعلنا نحس بالشخصية المتخيلة تتحرك أمامنا، وكأنها حقيقية واقعية طوال القصة، كما يجب أن تكون الشخصية حية، مقنعة، غير باهتة، واضحة في سماتها وأبعادها الفكرية والفنية"[12]، والعنصر الآخر هو الحدث القصصي الذي هو "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص وهو ما يمكن أن نسميه "الإطار"* plot؛ ففي كل القصص يجب أن تحدث أشياء، وفي نظام معين...وحوادث القصة وشخصياتها مرتبطة ارتباطا منطقيا يجعل مجموعها وحدة ذات دلالة محددة".[13] فالحادثة الفنية على حد تعريف عز الدين إسماعيل هي "تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سردا فنيا، التي يضمنها إطار خاص"[14]، إضافة لعناصر أخرى كالبناء والسرد.

إن القصة القصيرة تجمع بين كونها شكل من الأشكال النثرية، وبين تميزها بالتكثيف والمتن الصغير الذي يدل عليه مصطلح قصيرة، كما تتميز باحتوائها على أحداثها خيالية وأخرى حقيقية، وبعضها يحاكي الواقع ويمزج بالتخيلي.

2.القصة القصيرة في الجزائر:

نشأت القصة القصيرة في الجزائر متأخرة بمقارنتها بنظيرتها الغربية وحتى العربية، نتيجة للظروف الاستعمارية التي عاشتها، حيث عمل الاستعمار الفرنسي جاهدا على طمس كل القيم الدينية والتربوية التي من شأنها أن تعلي المجتمع الجزائري وتساهم في توعيته خاصة منها اللغة العربية، ومن بين ذلك جملة الأسباب التي خلفها هذا الاستعمار والتي كانت سببا في تأخر ظهور القصة القصيرة الجزائرية نذكر منها:

– ارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية المحافظة قيدت الحدود الإبداعية بما في ذلك القصة القصيرة"[15]، فكان الهدف من الأدب اصلاحيا توعويا يبتعد عن الترفيه والتسلية.

– وضع المرأة في المجتمع والتي كانت تعيش "مغلقة لا يسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، دون التعرض لعلاقة الرجل بالمرأة بالإضافة إلى ضعف النقد وانعدام النقاد الدارس الموجه وضعف النشر"[16]، حيث عدَّ تواجدها في الحركة الأدبية والاجتماعية مدعاة للانحلال الخلقي.

بالرغم من هذه الأسباب التي أدت لتأخر الحركة الأدبية في الجزائر وبخاصة منها ظهور القصة في الجزائر، إلا أنها وبفضل أسماء أدبية كبيرة استطاعت القصة الجزائرية أن تلتحق بالركب لتظهر بذلك نصوص قصصية، وكانت اللبنة الأولى لظهورها على يد أحمد رضا حوحو الذي يعد الرائد الأول لها فهو "الكاتب الذي تحمل عبأها مدة لا تقل عن عشر سنوات كاتبا، وناقدا، ومترجما في زمن خلت فيه القصة من كتابها"[17]، ليأتي بعده جيل–الثورة– ساهم في تطوير الفن القصصي في الجزائر منهم: عبد الحميد بن هدوقة، وعبد الله الركيبي، أبو العيد دودو، و زهور ونيسي وغيرهم.

إن الحافز الفني لكتابة القصة القصيرة اختلف من قاص لآخر؛ فمنهم من كتبها "بدافع ملء الفراغ، والشعور بأن الأدب الجزائري قد خلا منها، وهناك من كتبها بدافع الحماس، بسبب الثورة، فأراد أن يسجل أحداثها، ويصور أبطالها، ولكن هناك أخيرا من كتبها بدافع فني، أدبي، يحقق فيه ذاته، ووجوده، وهذا النوع هو الذي ساهم في تطويرها"[18].

فالقصة كما ترى زهور ونيسي هي "الحياة التي نعيشها محللة نفسيا، ومصبوب عليها الضوء، لكشف أبعادها المخفية، وتنفس عن النفس البشرية ولبث أمل جديد في الحياة، تحتل فيه الحقيقة المكانة الراقية، بدلا من الزيف والوهم والضياع، وخضوع الخيال الشعري لقانون الحياة هي التحليق في آفاق من الإبداع الفني، على أن تكون هذه الآفاق هي نفسها آفاق الحياة".[19]

موضوعاتها:

تطرق القصاص الجزائريين لمواضيع مختلفة تختلف باختلاف فترتها؛ فمواضيع قبل الثورة اتسمت بالطابع الإصلاحي وما جاءت به جمعية العلماء المسلمين من أفكار، بالإضافة إلى المواضيع الاجتماعية المختلفة، بينما كانت موضوعاتها أثناء الثورة وبعد الاستقلال أغلبها يدور حول الثورة.

من هنا فإن "معظم موضوعات القصة القصيرة الجزائرية، كان يدور حول الثورة، وما يتصل بها من حديث عن الهجرة خارج الوطن، أو آثار الاستعمار، ثم التقاليد والعادات وما يتصل بهما من تصوير لعلاقة الرجل بالمرأة، وبعدها ظهرت موضوعات تتناول الواقع الجديد بعد الاستقلال"[20].

3- تيمة الثورة في القصة الجزائرية القصيرة:

لطالما شكلت الثورة التحريرية الجزائرية بؤرة للكتابة السردية ومناخا خصبا لمتون القصص القصيرة الجزائرية، إذ ساهمت في دفع "الأقلام القصصية للكتابة والتأليف وكان الفاتح من نوفمبر عنوانا للقصة الجزائرية التي تتفاعل مع أحداث الثورة، تتوجه إلى واقع الوطن والشعب والظروف القاسية التي كان يعاني منها بسبب الظلم والبؤس والسيطرة الاستعمارية"[21].

وقد استمرت تمد "ظلالها على كل الكتابات الأدبية بصفة عامة وعلى الكتابة القصصية بصفة خاصة، حتى أنك لا تقرأ مجموعة قصصية وإلا وقد أفردت بعض قصصها لحرب التحرير مباشرة أو ربط فيها بين الواقع الجديد للقصة وواقع حرب التحرير بخيط رهيف"[22]، فأصبحت بذلك الثورة "هاجسا أساسيا يحرك عملية الكتابة، أو هي تتحرك فيه، والواقع أن هذه الظاهرة لا تدعو إلى الغرابة ما دامت الجزائر حديثة عهد بحرب التحرير، وما دام طابع عصرنا كله طابعا تحريريا"[23].

فكانت الحرب التحريرية "عاملا إيجابيا في تطوير بناء القصة الفني لدى الأدباء الجزائريين ودافعا لهم إلى الاطلاع على نماذج قصصية عربية رفيعة والاحتكاك بتجارب الآخرين"[24].

4-القصة القصيرة النسائية الجزائرية:

تميزت المرأة الجزائرية المبدعة بكونها المناضلة بقلمها ضد المستعمر، ضد العادات والتقاليد التي تحد حريتها التي لطالما حاصرتها في بؤرة ضيقة حرمتها من أبسط حقوقها، فاستعملت هذا القلم من أجل وطنها ومن أجلها ومن أجل بنات جنسها، إلا أن صوتها الأدبي قبل الثورة التحريرية كان منعدم مقارنة بكتابات الرجل ويعود ذلك لنفس الأسباب التي ساهمت في تأخر ظهور الكتابة القصصية في الجزائر والتي ذكرت سابقا.

بدأت الارهاصات الأولى للكتابة النسائية في الجزائر بالظهور "مع مجموعة من النساء في شكل نخبة تصدرن الحركة النسوية الإصلاحية بالجزائر، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وأصبح البعض منهن يكتبن وينشرن في الصحف والمجلات، ويؤلفن القصص، وينظمن الأشعار، ويشاركن في النشاط المسرحي، ويمتهن التدريس والتمريض، ويعالجن الموضوعات النسوية، ومشاكلهن ويفكرن في مصير البلاد والعباد، وكن بمثابة رائدات للنساء الجزائريات اللاتي سيكون لهن دور فريد من نوعه خلال ثورة التحرير الكبرى."[25]

وقد مرت الكتابة النسائية الجزائرية بمرحلتين أساسيتين رغم ضعف الإنتاج الأدبي لها وهما:

المرحلة الأولى: "تبدأ من سنة 1954م، أي مقترنة زمنيا باندلاع ثورة التحرير الوطنية، من خلال مساهمات نثرية نجدها تمثلت في مقالات اجتماعية تمحورت حول قضية المرأة في المجتمع الجزائري، وموضوعات أخرى لها علاقة بالتنشئة الاجتماعية السليمة، والتربية الصحيحة للفرد الجزائري"[26].

وكان لزهور ونيسي السبق في فن المقال فلها " مقالات كثيرة في السياسة والأدب والمجتمع، وعلى الأخص فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي للمرأة"[27].

وترى يمينة عجناك أن ما يشير إلى الكتابة النسوية في هذه الفترة هو "متابعة الكاتبات لما كن ينشرن في الصحف، إما من باب التنويه والشكر، أو بالمشاركة في إثراء الموضوع المطروح للنقاش، وبذلك ظهرت أشكال قصصية كثيرة تحمل مضامين فكرية وفنية جديدة، وهذا التطور سجلته المرحلة الثانية من الكتابة النسائية"[28].

المرحلة الثانية: كانت البداية الحقيقية للقصة النسائية الجزائرية مع أول صورة قصصية للأديبة زهور ونيسي بعنوان "(جناية أب)، وقد نشرت في ركن تحت عنوان(من صميم الواقع)، وفي نفس السنة تنشر ونيسي صورة قصصية أخرى بعنوان (الأمنية)، ثم (من الملوم)، ثم(جلسة مع الصديقات)"[29]، وهذه المحاولات كانت تتراوح بين المقال القصصي والصورة القصصية.

أما موضوعات هذه الصور القصصية اجتماعية "نشرتها الكاتبة في الثورة التحريرية، فهي تعكس تلك المرحلة؛ كالتفاوت الطبقي بين المعمرين الفرنسيين والسكان الجزائريين، وأخطار التعليم في المدارس الفرنسية، والدعوة إلى تعليم اللغة العربية، كما جسدت بعض الآفات الاجتماعية، وكانت الكاتبة متأثرة بالفكر الإصلاحي وبمبادئ (جمعية العلماء المسلمين)، التي انعكست في قصصها"، أي أن هدفها تربوي تعليمي، إضافة إلى غرس الروح الوطنية في الناشئة.

أبرزت هذه الصور القصصية للقاصة زهور ونيسي وغيرها من القاصات اللواتي وُجدن وقتها قدرتهن على حد قول يمينة عجناك؛ في "الإبداع القصصي ذو المميزات الفنية، والإمكانيات العالية. ورغم معاناة هؤلاء ومفارقات الواقع، فإن المرأة في الجزائر بعد الاستقلال كانت لها مشاركة فعلية في الميادين: الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وليس هناك أيضا من ينكر دورها وحقوقها "[30].

إلا أن هذا لا يعني أن المرأة أثناء الثورة لم يكن لها دور؛ إذ أنها أثبتت جدارتها فيها من خلال كفاحها بمساعدتها الرجل وبحملها السلاح، فكانت الثورة "هي الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة"[31].

وبرزت المرأة المناضلة/ الثورية الجزائرية ببطولاتها، وحين كان "صوت المرأة المناضلة في الجزائر يعلو إلى جانب أخيها وزوجها وابنها غاب صوتها الأدبي، وبخاصة في الشعر والقصة، على الرغم من ذلك ظهرت الأديبة المناضلة "زهور ونيسي"*صوتا لا ينافسه أحد"[32]، حيث تصدرت الحركة الثقافية من خلال "مجموعتها القصصية الأولى "الرصيف النائم" الذي جسدت فيه بطولة الشعب الجزائري أيام ثورته التحريرية نضاليا واجتماعيا"[33]، لتتوالى بعدها انتاجاتها القصصية .

5-تجليات نضال المرأة الجزائرية في قصة "الظلال الممتدة" لزهور ونيسي:

اختلفت صور حضور المرأة في الثورة الجزائرية، فكانت المرأة الثورية التي انخرطت في صفوف جيش التحرير لتعمل مع المجاهدين، وأخرى عانت من اضطهاد المستعمر والمجتمع لها إلا أنها ساهمت بشكل أو بآخر في الثورة.

فالأدوار المتعددة التي "قامت بها النساء خلال الثورة قد أحدثت خلخلة في العلاقة الاجتماعية، فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات، التي سيتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد"[34].

ومن أبرز من كتب عن المرأة الجزائرية ونضالاتها الثورية، وعبرت عن الأحداث الثورية القاصة زهور ونيسي؛ التي جعلت من قصصها وثائق تاريخية تؤرخ بها للثورة، فهي كمناضلة مثقفة انطلقت من دون شطط "كأنها تحاول أن تحارب السوء دون إساءة لصاحبه فهي تنتصر للمرأة دون تحامل على الرجل، وتقسو على الظلم بإبراز نضال المضطهدين وتترك لهؤلاء وتلك باب الأمل والمستقبل عريضا مفتوحا على الابتسامة والإشراق"[35]، وهذا ما قاله الأستاذ عبد الحميد مهري في تقديمه لمجموعتها الرابعة "**الظلال الممتدة**" والتي صدرت سنة 1985م.

قصة الظلال الممتدة دمجت فيها الكاتبة كل ما هو حقيقي من شخصيات وزمان ومكان وأحداث وكل ما هو متخيل، من خلال تصوريها للحياة الثورية لبطلي القصة واللذين افتتحت قصتها بإهداء لهما :

" إلى بطلي هذه القصة الواقعية الملحمة...

الأخ المجاهد سي عمار والأخت المجاهدة زينب وهما ينعمان اليوم بالذكرى العشرين لحرية الجزائر...

كلّ من موقعه... وقد كان الموقع واحدا، والظروف واحدة... والهدف الجزائر..." [36].

ترى يمينة عجناك أن هذه القصة "وإن كانت واقعية في أحداثها كما يشير الإهداء الموقع من قبل الكاتبة، إلا فأنها لا تشير إلى شخصية بعينها، إنما تقصد النموذج العام للمرأة الجزائرية في تضحياتها وعطائها"[37].

تحكي القصة عن المجاهدة زينب التي جسدت نضال المرأة الجزائرية وتضحياتها، فزينب لم تكن تتخيل أنها ستعيش عهد الاستقلال فهي تشعر أن "كل يوم تعيشه، إنما هو ريح لم تكن تطمع إليه، وفائض عن الأيام التي كان يجب أن تعيشها، لقد كسبت من الحياة كل هذه السنوات الأخيرة، التي تسمى سنوات الاستقلال..."[38]

فهي التي عايشت الثورة بكل ما فيها، "عايشت أعراس الدم والدموع والعذاب، وشاهدت الموت يخطف، ويغتال، ويحصد، دون شفقة أو تمييز...عايشت ربيع الطبيعة يولد، كل مرة وكل عام، وربيع الإنسان ينْحَر، بجانبه، تردم بشائره، وتغتال براعمه، شاهدت ربيع الطبيعة يشكو من اعتداءات القنابل والمدمرات، نحيب ونواح الشيوخ، جزع الثكالي والأطفال، والمزيد من الهروب إلى المجهول..."[39]، وما أبلغه من تعبير وما أقبحها من صور خلفها المستعمر، وما أحزنها من ذكريات خلفها الماضي الذي لا ينسى، فهو يمد ظلاله ليقتل نور الحياة في قلبها والتي امتدت ظلاله لحاضرها.

مزجت الكاتبة في قصتها بين الزمن التاريخي والذي يعود للثورة التحريرية، والزمن القصصي باستعمالها تقنية الاسترجاع من خلال الارتداد بذاكرتها إلى أيام الثورة، قبل خمس وعشرين سنة إلى قريتها التي فقدت رجالها لالتحاقهم بصفوف جيش التحرير الوطني والذي من بينهم زوج زينب، أما شباب القرية فعاشوا في جو من الخوف في انتظار مصيرهم المجهول كون "الإدارة العسكرية بدأت تشكل قوائمها لاختيار شباب الخدمة العسكرية، مقياسها الأول والأخير في ذلك، الشباب والعنفوان وهدفها إفراغ الساحة من أي عنصر شاب، يمكن أن يسبقها إليه جيش التحرير..."[40].

زينب بعد التحاق زوجها بالمجاهدين لم تجد سندا لها سوى ابنيها ووالد زوجها؛ ابنها الذي "إخضر شاربه، وتبلورت ملامح الرجولة فيه، إنها لا تعرف سنوات عمره بالضبط، ولكنها تفتخر بأنه بكرها، وأنه ثمرة شبابها، وأنه أصبح رجلا..."[41]، وهذه الأخيرة كل ما لا تريده هي، وكل ما يريده المستعمر، هنا تبدأ المخاوف تتآكل قلب الأم في فقدانها لابنها "وكيف بالله عليك يا زينب ستمرضين بهذه النتيجة؟ وهل يصح أن يحدث ذلك؟..."[42].

فأحست بشعور طاغي لحظة تأملها لابنها واكتشاف أنه أصبح رجلا وكأنها لأول مرة تراه، لتدرك أن الذي سيحدث هو "القيامة وهو الكارثة، وهو الزلزال"[43]، لتصل إلى أن الذي سيحدث حتما هو أن ابنها "بعد أن تجنده الإدارة الحاكمة سيقتل حتما وفي يوم من الأيام، أباه....

نعم الذي ولده، أو سيقتل عمه أو خاله، أو أن هؤلاء جميعا سيقتلون إبني...إبنهم..."[44]

لتجد نفسها تصارع كل هذا الخوف والصراع الداخلي لوحدها فزوجها "يختار الهروب، ويتركها لهذه المصائب... وحموها لا يريد أبدا أن يفيق أو يتكلم في شيء، فما بالك بالتفكير بهذا الأمر أو غيره من الأمور..."[45]، لتدخل في حالة اضطراب نفسية تصفها الكاتبة بقولها: "... وتغلغلت كآبة الخريف أكث فأكثر، إلى نفها الشفافة، وغلفتها بحالة من النشاط الذهني المرعب، لا تبدو منه سوى حركة العينين وهما تجوبان الكوخ شبرا شبرا، في نظرة ضائعة عائمة، دون تركيز على شيء، حتى صغيرها النائم إلى جوارها، كان تحنانها عليه اليوم آليا دون حرارة...".[46]، لتدخل بذلك في نوبة من الهلع.

حرمان زينب من ابنها آت لا محال مثل ما فقدت زوجها، إلا أنها لا تتمنى أن يحصل ما فكرت فيه بأن يقتل أحدهما الآخر بالتحاق ابنها بصفوف العدو، لتتوصل بعد حوارها مع حموها للحل وهو أن يلتحق ابنها بأبيه المجاهد، لكن ما إن وجدت بابا تتخلص فيه من مخاوفها حتى وجدت نفسها في حيرة أخرى فأملها بأن يكون ابنها متطوعا للجهاد في سبيل الوطن لا العدو اعترضه أمر جلل، فقد أخبرها والد زوجها بأنهم "قالوا أن المجاهدين هذه الأيام أصبحوا لا يقبلون المتطوعين، لأن عنهم كفاية الكفاية من الرجال، والذي يحتاجونه أنما هو السلاح ومستلزمات السلاح..."[47]، ومن أين لامرأة مثل زينب تعيش في كوخ فقير، "تتأخر عن المائدة حتى تشبع عائلتها... وتقتات هي على ما تبقى... وما أقلّ ما تبقى..."[48]، أن تؤمن السلاح للثوار ولابنها كي يلتحق بهم ويموت شهيدا في سبيل الوطن لا خائنا لإخوانه ووطنه ودينه.

ومع مرور الأيام ودخولها في دوامة من التفكير والحيرة، ومن محض الصدف أن تتذكر أن "ما تحمله أذناها إنما هي أقراط ذهبية، كانت زينب وكأنها تكتشف عالما جديدا..."[49]؛ هذه الأقراط الغالية على قلبها فهي هدية زفافها من زوجها الذي يمكن أن لا يعود، إلا أنها في شدة وهذا حلها الوحيد لتحقيق رغبتها وتفادي مجزرة عائلية يمكن أن تقع، لتبتسم بعد ذلك "وهي تنتصب جالسة، ابتسامة الغائر، المنتصر..."[50].

بعد أيام قررت التوجه هي بنفسها مع ابنها إلى المجاهدين الذين تعرف مكانهم جيدا اذ كانت "تلتقي بزوجها المجاهد، ورفاقه، مرة بعد مرة قبل التحاقه بولاية أخرى..."[51]، من أجل تسليمه لهم، لتشتد " وقع خطواتها ودقات قلبها على الأرض والظلام، وكأنها في كل خطوة تجهز على ذلك

التنين الكبير وتحاول القضاء عليه قبل أن يقضي عليها ويقضي على هذه الروابط التي تربط أسرتها الصغيرة رغم تفرقها..."[52].

بعد وصول زينب ودخولها للمغارة أرادت اقناع المجاهدين وقائدهم فتحدثت معهم كثيرا، وكثيرا كأنها تخاف أن تضيع فرصتها ويرفض ابنها، لتتوجه بعد ذلك للقائد قائلة:

"– أيها القائد هذا ما عندي...

إشترو لولدي بها لباسا عسكريا...

ولا بأس أن يسير معكم بدون سلاح، حتى يغنم سلاحه في إحدى المعارك، أعطوه قطعة حديدة، يحصل بها على سلاحه، فقط لا تتركوه يتجند هناك في الجانب الآخر، ضدكم...

وضد أبيه..."[53].

لتصلها الإجابة بعد أن رد لها القائد نقودها وهو مبتسم كحال جميع الحضور، ومن قسمات وجهه الراضية، ونظرته الحنون، وهي تلتقي بنظرة إبنها الشاب القلقة..."[54]، ليتحقق بعد ذلك حلم هذه المرأة العظيمة في التحاق ابنها للجهاد في سبيل الوطن، رفقة الأب والعائلة ورفقة كل مناضل في سبيل نيل الحرية.

تعود زينب بسردها إلى حاضرها حين أرجعها صوت حفيدها وهو ببذلته العسكرية لكي يدعوها لشرب القهوة معهم، لتتساءل عن سبب تواجده في البيت وهو ليس يوم عطلته، فيذكرها بأنه يوم عطلة للجميع فهو يوم ذكرى الحرية ، لتسترجع نفسها الحاضرة " فكانت، تنتصب وهي واقفة، بقمتها اللطيفة بمحاذاة حفيدها الشاب، كشجرة سامقة، تمد ظلالها على حفيدها وعلى جميع الأحفاد"[55]

فالبطلة زينب هي نموذج المرأة المناضلة التي مدت ظلالها على ماضيها وحاضرها فهي كالشجرة المعمرة في أرض جزائرية انتجت ثمار حب الوطن، وجذورها ضاربة في عمق الهوية الوطنية التي لا يمكن اقتلاعها.

ختاما:

أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة نلخصها في النقاط التالية:

– ظهور القصة القصيرة النسائية الجزائرية كان متأخرا نتيجة الاستعمار الفرنسي وتبعياته، إلا أنها استطاعت أن تتطور بفضل عدة حوافز أبرزها الثورة التحريرية، إذ شكلت الثورة تيمة مهيمنة

في الكثير من الكتابات النسائية خاصة عند زهور ونيسي التي ركزت على الجانب النضالي للمرأة الجزائرية في مختلف صورها وأبعادها الرمزية وهو ما نلمسه في مجموعتها القصصية الظلال الممتدة.

– جسدت زهور ونيسي بطلة قصتها الظلال الممتدة زينب في صورتين رمزيتين أولهما أنها نموذج المرأة الريفية المناضلة التي كانت خير سند لزوجها ورفقائه من المجاهدين حين كانت تمدهم بالأكل، كما ضحت بالزوج والولد وكل ما تملك في سبيل الوطن، وثانيهما يرتبط بالعنوان فهي المقصودة بالظلال الممتدة وتبين هذا في آخر مقطع في القصة فهي كالشجرة المثمرة المعمرة التي تمد بظلالها على مدى الأزمان وتظل به الأجيال المتلاحقة.

– وصف ونيسي لبطلتها جاء من خلال الأحداث التي عاشتها إذ صورت معاناتها النفسية من جراء هذه الأحداث وكأنها غاصت في أعماقها أو أنها هي من مرت بهذه الحالة النفسية، وما ساعدها على هذا الوصف الدقيق حسب رأيي أنها هي الأخرى عاشت الثورة بكل ويلاتها والأكيد أنها شاركت الكثير من النساء همومهن وأوضاعهن إبان الثورة مما منحها هذا الاحساس العالي.

– يتجلى نضال البطلة زينب من خلال معاناتها النفسية؛ أولا من فقدها للزوج الذي كتب عليه وإن كان بإرادته العيش بعيدا عن أسرته، وثانيهما الخوف من فقد ابنها ووقوفه ضد والده ، وضد أبناء وطنه، لوقوفه في كفة العدو المستعمر، فناضلها كان صراعا نفسيا قاسيا انتهى بها بوهب ابنها للمجاهدين لكي يموت في سبيل الوطن لا خائنا للوطن.

– إن النضال عند زهور ونيسي لا يقتصر فقط في الثورة ومساهمة المرأة بمختلف الصور في تحرير الوطن، إنما هو متواصل حتى بعد الاستقلال وفي كل مجالات الحياة لهذا كان العنوان (الظلال الممتدة) مفتوحا، متواصلا، يمتد على طول الحياة.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] ابن منظور: لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1993، ص: 389.

[2] الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، 2000، ص: 24.

[3] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار صادر، ط1، لبنان، 1996، ص: 09.

[4] عبد الله الركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 2009، ص: 133.

[5] محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف في الاسكندرية، مصر، (د. ت) ص: 03.

[6] شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة(1947-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص: 18.

[7] مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العالمية العربية، مج17، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط2، المملكة العربية السعودية، 1999، ص: 197.

[8] فؤاد قنديل: فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2008، ص: 21.

[9] المرجع نفسه: ص: 32.

[10] كوثر زكي: ثمن الغربة، دار ابن رشد للطباعة والنشر، مصر، 2017، ص: 19.

[11] عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه، ص: 194.

[12] محمد نجم يوسف: فن القصة، مرجع سابق، ص: 32.

*الإطار وهو ما يسميه النقاد بالحبكة والتي هي نقطة الانعطاف في السرد القصصي، تتميز بجعلها عناصر السرد في القصة متماسكة.

[13] عز الدين اسماعيل: المرجع السابق، ص: 104.

[14] المرجع نفسه: (ن. ص).

[15] عبد الله خليفة الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث(1830-1974)، الدار الغربية للكتاب، ليبيا، 1976 ص: 161.

[16] المرجع نفسه: ص: 162.

[17] عامر مخلوف: مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ب) 1998، ص: 56.

[18] عبد الله الركيبي: المرجع السابق، ص: 136.

[19] بوعزيز يحي: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، الجزائر، 2001، ص: 72.

[20] عبد الله الركيبي: المرجع السابق، ص: 179.

[21] نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009 ص: 337.

[22] عامر مخلوف: مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر، مرجع سابق، ص: 55.

[23] عامر مخلوف: الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2000، ص: 17.

[24] شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق، ص: 109.

[25] بوعزيز يحي: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، مرجع سابق، ص: 34-35.

[26] يمينة عجناك: قضايا المرأة في الخطاب السردي النسائي في الجزائر، مرجع سابق، ص: 47.

[27] أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، اتحاد كتاب العرب، سوريا، 1996، ص: 378.

[28] ينظر: يمينة عجناك، المرجع السابق، ص: 48-49.

[29] يمينة عجناك: قضايا المرأة في الخطاب السردي النسائي الجزائري، كتابات زهور ونيسي أنموذجا، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2017، ص: 49.

[30] المرجع نفسه: (ص. ن).

[31] صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، الجزائر، 2009 ص: 18.

[32] يمينة عجناك: المرجع السابق، ص: 44.

*زهور ونيسي: "من مواليد ديسمبر1936م بمدينة قسنطينة، حائزة على الشهادة الابتدائية بالمرتبة الأولى وشهادة ليسانس في الآداب بجامعة الجزائر 1966م، اشتغلت معلمة في المدارس الحرة، مجاهدة في صفوف جيش التحرير منذ 1956 إلى غاية الاستقلال، ساهمت في إنشاء العديد من الاتحادات الوطنية، كما ساهمت في تعريب الإعلام الوطني، عينت كأول امرأة وزيرة في الحكومة الجزائرية المستقلة كوزيرة للشؤون الاجتماعية ثم وزيرة للتربية. من مؤلفاتها القصصية: الرصيف النائم، على الشاطئ الآخر، الظلال الممتدة، عجائز القمر، أما الروايات فلها: رواية من يوميات مدرسة حرة، لونجة والغول." للمزيد ينظر: يحي بوعزيز: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، ص: 53-54.

[33] ينظر: أحمد أدوغان: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص: 174.

[34]صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 18.

[35] يحي بوعزيز: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، مرجع سابق، ص: 68.

[36] زهور ونيسي: الظلال الممتدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 11.

[37] يمينة عجناك: قضايا المرأة في الخطاب السردي النسائي في الجزائر، مرجع سابق، ص: 190.

[38] المصدر نفسه: ص: 13.

[39] المصدر نفسه: ص: 13-14.

[40] المصدر نفسه: ص: 15.

[41] المصدر نفسه: ص: 16.

[42] المصدر نفسه: (ص. ن).

[43] المصدر نفسه: (ص. ن).

[44] المصدر نفسه: ص: 17.

[45] المصدر نفسه: ص: 18.

[46] المصدر نفسه: ص: 17-18.

[47] المصدر نفسه: ص: 18.

[48] المصدر نفسه: ص: 19.

[49] المصدر نفسه: (ص. ن).

[50] المصدر نفسه: (ص. ن).

[51] المصدر نفسه: ص: 20.

[52] المصدر نفسه: ص: 21.

[53] المصدر نفسه: ص: 22.

[54] المصدر نفسه: ص: 23.

[55] المصدر نفسه: (ص. ن).